في شهر شوال المبارك قد اتى خير المسرّة في نهاية عمره
وهلاكه نفساً وجسماً مؤرخاً بجفير نار للعباد وحشره
١٢٤٠ (لهُ بقية)

ميمر
لتادرس ابي قرّة
في وجود الخالق والدين القويم

توطئة

بين مخطوطات دير الرهبانيّة الحليّة التابعة للروم الملكيين الكاثوليك في دير الشير نسخة من ميامر اي مقالات « تادرس » او ثاودورس ابي قرّة اسقف حرّان الشهير الذي تولى طبعها حضرة الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلّصي في مطبعة القوائد سنة ١٩٠٥ بعد نشره في المشرق (٦ (١٩٠٣) : ٢٢٢) ذاك الميمر الفريد الذي عنوانهُ صحّة الدين المسيحيّ. وكان حضرتهُ استند في طبع هذه الاثار الجليلة الى نسخة مخطوطة كانت في دير المخلّص تاريخها سنة ١٧٣٥ منقولة عن نسخة قديمة في دير مار سابا الذي قريباً من القدس الشريف كُتبت سنة ٦٥٥٩ لآدم اعني ١٠٥١ للمسيح في جبل اللكام فوق انطاكية

وفي سنة ١٩٠٨ اذ كنّا في دير الشير تلطّف حضرة رئيسهِ المفضال وسمح لنا بمطالعة مخطوطات مكتبة ذلك الدير القديم فوجدنا بينها كتاباً يشتمل بمجموعاً لميامر ابي قرّة فنقلنا فهرس تلك الميامر لنعارضها بالميامر المطبوعة لعلّنا نجد بينها ما لم يُنشر بالطبع. فلم يخب املنا. ودونك نتيجة هذه المقابلة

هذه النسخة المباركة خالية من التاريخ وانما يُستدلّ من ورقها ومدادها وكتابتها انها من القرن الثامن عشر. وفي اخرها ان الكتاب كان في « استعمال الاب الخوري خائيل جربوع وقفاً مؤبداً للرهبنة الحليّة ». وعدد صفحاتها ١٦٦ صفحة. من قطع الربع تحتوي على خمسة ميامر اولها (من الصفحة ٢ الى ٥٩) الميمر الذي تولى نشرهُ في هذا العدد من المجلّة ولا اثر لهُ في النسخة المطبوعة. ثمّ يليهِ (ص ٥٩–٩٦) ميمر « تحقيق ناموس موسى » المنشور في المشرق (وفي طبعة الاب ق. الباشا ص ١٤٠ – ١٨٠). ثمّ يليها (ص ٩٩–١٢٨) ميمر ثالث جليل في بيان التثليث والتوحيد (في النسخة المطبوعة ٢٢–٤٨). والميمر الرابع (ص ١٢٨–١٥٦) موضوعهُ

موت المسيح (يوافق في النسخة المطبوعة ص ٤٨-٧١). والميمر الخامس وهو الاخير (١٥٧-١٦٥) عنوانهُ « انهُ لا تُغفر لاحد خطيئة الّا باوجاع المسيح » (يوافق طبعة الاب ق. الباشا ٨٣- ٩١) فمن هذه المقابلة يظهر أنَّ في النسخة المخلّصيَّة المطبوعة ما لا يوجد في نسخة دير الشير اعني الميمر الثاني في حرّية الانسان (٩ - ٦٣) ثمَّ الميمر الخامس في تحقيق الانجيل (٧١-٨٣) ثم السادس في « انَّ ثمَّ ابنًا هو عدلهُ في الجوهر ولم يزل معهُ » (٩١ - ١٠٣) وفي اثر الميامر رسالة كتبها ابو قرّة الى صديق لهُ يعقوبيّ صار اورثذكيًا (١٠٤-١٤٠) ثمَّ ردٌّ على من ينكر ان المسيح اتحد (١٤٠ - ١٨٣)

فالاثر الادبي المنثور هنا يشبهُ كل تآليف ثاودورس ابي قرّة بقوّة برهانهِ وبلاغة كتابتهِ وبحسن اسلوبهِ في البحث وسياق ادلتهِ مقرّبًا للعقول المطالب العويصة فتناولها دون عناء. امَّا لغتهُ ففيها شيء من حشونة ذاك الزمان الذي كُتبت فيهِ وكانت العربيَّة حديثة الانتشار بين نصارى هذه البلاد وهي مع ذلك لا تخلو من المزايا الخاصة كالوضوح والضبط وحسن الدلالة على المعاني

ولا حاجة هنا الى تعريف المؤلف وقد اثبتنا في المشرق (٦ : ٦٣٣ و ٨ : ٣٣٠) ما امكننا جمعهُ عن احواله. وممَّا ثبت بعد ذلك بالتحقيق انَّ ابا قرّة كان اسقفًا على الملكيين الكاثوليك في مدينة حرّان الجزيرة الرها في ما بين النهرين في قرن التاسع للمسيح وقد ذكرهُ البطريرك اليعقوبي ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر (Hist. de Michel le Syrien, ed. Chabot, III. 29-34) ودعاهُ هناك « ثاودوريكوس فوجلا » ولعلَّ ترجم في السريانيَّة « ابا قرّة » بالفجل (قوجلا) لكنَّا لا نعلم ان ابا قرّة كان من الدّ اعداء البدعتين اليعقوبيَّة والنسطوريَّة ولهُ اعمال كثيرة في اليونانيَّة في مجموعة مين (Migne, P. G. XCVII, col. 1468-1609) وغيرها في العربيَّة في خزانة الكتب الشرقية في لندن نشر منها أرندزن مقالة في عبادة الصور وحضرة الاب لويس معلوف « مقالة في تأنس الله الكلمة » (راجع المشرق ٦ : ١٠١١ - ١٠٢٢)

وهنا نكرّر شكرنا لحضرة رئيس دير الشير الذي وخصَّنا بنسخ هذا الاثر ولحضرة الاب يوسف خليل رئيس الاباء البسوعيين في زحلة ولحضرة الاخ بوليكربوس الراهب الحلبي اللذين ساعدانا في نسخ هذا الميمر

ل . ش

١ في وجود الخالق

اقول ان لنا عقولًا باطنةً واحواسًا (وحواسَّ) خارجة اعني نظرًا بالعين وسمعًا بالاذن وشمًا بالانف ومذاقًا بالفمّ ومجسَّة باليد وفي غيرها من الاعضاء الجسدانيَّة. واقول انَّ العقل بهذه الحواس يدرك معرفة اجزاء طبائع هذه الدنيا التي تُرى

وتجسّ اوّلًا بمنزلة أنّي لم اكن عاينتُ البحر قطّ فجئته ورأيته بعيني وسمعتُ صوتهُ باذني وشممتُ رائحتهُ بانفي وذقته بفمي وجسسته بيدي ثمّ ابعدتُ عنهُ فصار الذي ابصرتُ منهُ وسمعتُ وجسستُ بيّناً في عقلي من داخل راسخاً مطبوعاً فيه

ومعروف ان احواسي (حواسي) لم تؤدي (تؤدِ) الى عقلي من معرفة البحر الّا جزءًا لانّ بصري لم يؤدي (يؤدِ) اليّ منظره كلهُ ولا سمعي صوتهُ جميعهُ ولا شمّي ولا جسّي ولا مذاقي الّا كذلك. وكلُّ ما نال عقلي بحواسه معرفة اجزاء البحر التي وصفنا. وكذلك رأيتُ انّ عقلي ينال بها معرفة جميع الاشياء التي أعاين اجزاءها من السما والارض وما بينهما من الهواء والسحاب والامطار والثلوج ما يشبه ذلك والجبال واصناف الطير والبهائم ودبّابات الارض والاشجار والنباتات وذوات البحر وسائر ذلك من جميع الاشياء التي تقع الحواس (3) عليها

كذلك على هذه الجهة عاينتُ يوماً شجرة من شجر البلوط فيها قضيبان احدهما راكباً (راكب) على صاحبهِ والريح يحرّكهما ويحتكّ احدهما بالآخر فاحتكّا حتى برزت منهما نار فاشتعلت فيهما. ورأيت عند ذلك ماء وبخاراً يخرجان منهما سوى النار التي رأيت فاحترقا وصارا رماداً وتراباً فعرف عقلي بما عاينتُ انهُ كان في القضيبين نار وماء وهواء وتراب (١. وعرفتُ ايضاً انهما منها جُمعا وركّبا. وكذلك ايضاً رأيت حديداً احتكّ بحجر فخرج بينهما نار فاحببتُ ان اجرّبها فادخلتهما النار فرأيت كلّ واحد منهما عرق ماء وبخاراً واخيراً بادا وصارا رماداً وتراباً فعرفتُ انّ هذين ايضاً مثل القضيبين من هذه الاربعة الاشياء. رُكبا وجُمعا (١

هكذا على هذه الجهة اقول انّ العقل الباطن لا يعرف اوّلًا الطبائع باحواسهِ (بحواسه) الخارجة كالجهة الاولى لكن من دلالة اجزائها التي نال بمعرفتها من قبل باحواسهِ. بمنزلة اني عطشتُ يوماً وتناولتُ من ماء البحر جرعة لاشرب فلمّا ذقتها ولم توافقني القيتها فنزلتْ منحدرةً حتى وقعت على الارض وعلمتُ من اني لا اقوى على شربها ومن اني ادخلتها فمي فاحتوى عليها ومن حيث القيتُها فنزلتْ حتى ادركتْ الارض ووقعت عليها انّ جميع ماء البحر الذي عاينتُ والذي لم اعاين مثل

١) هذا محمول على زعم القدماء في العناصر الاربعة المعروفة بالامهات

هذه الجرعة لا اقوى على شربهِ وانَّ كلهُ (4) محدود محتوًى عليهِ وانـهُ نازل لا يقف حتى يجد شيئاً يحملهُ ويثبت عليهِ

كذلك جمتُ وتنـاولتُ طعامي من تراب لا اعلم ان كان يصلح لطعامي فأدنيتهُ من فمي فلمَّا لم يوافقني القيتهُ فلم يزل نازلًا حتى ادرك الارض فوقع عليهـا فعلمتُ من هذا الكيف انَّ الارض كلها ليست تصلح لطعامي وانَّها كلها محدودة محتوًى عليها وانَّها في طبيعتها منحدرة ابدًا حتى تجد شيئاً يحملها وتقوم عليهِ. هكذا استدلَّ عقلي على معرفة كمال الاشياء العظيـمة التي لا تدركها الاحواس (الحواس) بكمالها من اجزائها

ولذلك ايضاً اقول انَّ العقل يدرك معرفة كمال كل نوع من انواع الحيوان من الجزء الواحد من النوع وايضاً من بعض الانواع معرفة جماعتها بنزلة أني لم اكن رأيت قطَّ ميتاً فرأيت جماعة اناس كثيرين ورأيت ميتاً فسألتهم: ما هذا. فقالوا: ميت. فحيث رايتهم يشبهونهُ في الطبيعـة اجمعين وقد حلَّ بهِ الموت استدلَّ عقلي من هذا الواحد انَّ الموت نازل بجميع الناس وهذا ليس من بصر عيني معرفتـهُ لاني لم ابصر جميع الناس موتى ولكن من الواحد منهم الذي استدللتُ بذلك منـهُ عليهم

وكذلك استدللتُ من غراب رأيتهُ ميتاً على الغربان اجمعين ومن عقاب واحد على العقبـان. وكذلك في البهائم من فرس وثور وكلب واحد على جميع الافراس والبقر والكلاب. وايضاً من هذه الانواع التي (5) ذكرت اعني من الانسان والعقاب والغراب والفرس والثور والكلب عرف عقلي انَّ الطير كلهُ والبهائم كلها ودوابّ البحر كلها وجماعة كلّ حيّ الذين لم اعاينهم ببصري موتى

على هذه الجهة عرفت ايضاً جميع الانواع النفسانيَّة وغير النفسانيَّة اعني الاشجار والنبات جميعاً والمعدنيَّة والحجارة التي لا تنبت أنَّها من الاربع طبائع رُكِّبتْ لانَّ عقلي حيث عاين الشجرة الواحدة من البلوط عرف انها من النار والهواء والماء والتراب جُمعتْ لستدلَّ منها على جميع شجر نوع البلوط انَّها من هذه جُمعت. ومن هذا النوع ايضاً استدلَّ على شجر نوع الأَرز والصفصاف واللوز والتين وعلى جميع الاشجـار والانبات النفسانيَّة أنَّها من هذه الاربع طبائع رُكبت. كذلك استدلَّ من الحديدة

الواحدة على جميع نوع الحديد ومن نوع الحديد على جميع الانواع المعدنية ومن الحجر الواحد على جميع انواع الحجارة. وعلى هذه الجهة من اجسام الاشجار النفسانية واجسام المعادن والحجارة الغير النفسانية كلها استدلّ وعرف انّ جميع اجسام اصناف الطير وانواع البهائم ودواب البحر واجساد الناس وكل جسد مركب انهُ من الاربع طبائع جُمع وركِّب من النار والهوا والماء والتراب. الى هذا الموضع قد وصفتُ كيف نال (6) عقلي باحواسهِ (بحواسِه) معرفة اجزاء الطبائع التي تُجَسّ وكيف نال من جزء كل نوع من الطبيعة معرفتهُ كلهُ وكيف نال من بعض الطبائع المعرفة على كلها

وبعد هذا رأيتُ انهُ يمكن لعقلي ايضاً ان يعرف اشياء باطنة لم يحسّ منها بعينهِ شيئاً بتّة جزءاً ولا غير جزء. ولكنهُ يستدلُّ عليها من آثارها ويعرف صفتها من فعلها بمنزلة أنني مررتُ على شطّ النيل يوماً ورأيت خشباً كثيراً قد قُطع من غيضتهِ ونُقل وصُيّر على شطهِ ولم اكن رأيتُ قطّ خشبة قطعت من موضعها النابتة فيه وقال عقلي: «انّ هذه على غير طبيعتها وُضعت هاهنا لانهُ ليس لها في طبيعتها ان تقطع نفسها وتنتقل من موضع الى موضع» وعرفتُ من أني رأيتها على غير طبيعتها انّ شيئاً اقوى منها قطعها بقوتهِ ونقلها الى ذلك الموضع وان كنتُ لم اعاين ذلك الشيء. وبعد ايام ايضاً مررتُ بها فرأيتها قد نشرت وعُمل منها سفينة فعرفتُ انّ ذلك القوي الذي جرّها الى ذلك الموضع وعمل من صنعتهِ السفينة هو ايضاً حكيم

ومررتُ يوماً آخر بعد ذلك فرأيت السفينة في النهر مملوّة طعاماً فعرفتُ انّ صاحبها القوي الحكيم ايضاً محتاج خبزاً لانهُ يخدم حياة الناس في البعيد فأنشأها هكذا. (ومن ثمّ) رأيتُ انهُ يمكن لعقلي ان يعرف من الاشياء الصنّاع لها الذين لم اُعاينهم بشيء من الحواس (7) وانّما عرفهم من آثارهم وفعلهم

فلمّا علمتُ انهُ يمكن الامر الذي لم يُبصر بالحواس بتّة ان ينال معرفتهُ من لا يراه وصنّاعهُ على ما وصفتُ عرفتُ ايضاً انهُ يمكن للعقل من مثل معرفة هذا الوجه معرفةُ ما عُلم من كمال انواع الاشياء. اي معرفة الخالق بمنزلة اننّا علمنا ان الارض اجمع بكلها محدودة من جميع نواحيها محتوًى عليها منصبّة في الانحدار الى اسفل وهي من طبيعتها لا تنصبّ ولا تتحرّك فأمرُها على احد وجهين اما ان تكون قائمة على جسد

يحملها على ما يوافق طبيعتها واما لا. فان كانت قائمة على جسد يوافق طبيعتها وجب ان يقوم ذاك الجسد على شيء اخر والآخر على آخر وكذلك واحدٌ على واحد حتى يبلغ الف الف واكثر من ذلك. وليس لها بدٌ من ان تنتهي الى واحد ليس تحتهُ شيء يحملهُ فتصير هي وما حملهـا على غير طبيعتها قائمةً الساعة. فعلى اي الامرين حوّلت امرها اعني كان تحتها شيء او لم يكن فهي على غير طبيعتها قائمة. والآن كل شيء يوجد على غير طبيعته فشيء آخر اقوى منـهُ قهرهُ وصيّرهُ بقوّته على غير طبيعته. واما رأينا الارض قائمة على غير طبيعتها عرفنا انّ شيئاً اقوى منها بقوّته يحملهـا بلا محالة ونحن نرى قوّة هذا الشيء الحامل لها فوق الصفة لانّ قوّتهُ تقدر تحمل الارض بكمالها وما عليها من البحار (8) والجبال وغير ذلك وهو لا يضعف ولأنها قامت كذلك ازماناً ودهوراً كثيرة لا تحصى ولا تفنى فهذا الشيء الحامل لها لا انتهاء لهُ

وايضاً على مثل ذلك عرفنا انّ عظم قوّة هذا القوي من جهة اخرى عظم من هذه. نقول انهُ عرفنا ايضاً ان كل ما على الارض وفي البحار من الانواع جميعاً بمنزلة الاشجار والانبات والحيوان اجمع والجبال وغير ذلك من المركّبين من الاربع طبائع جميع وركّب من الهواء والنار والماء والتراب. وكل مـا رُكّب فأجزاؤهُ اسبق منهُ في الطبيعة وربّما كانت مع ذلك اسبق منهُ في الزمان ايضاً بمنزلة تركيب البيت المجموع من حجارة وطين وخشب ومسامير وغير ذلك التي هي اسبق منهُ في الطبيعة والزمان. ونحن نعلم انّ الارض والماء على ما لزمتهـا طبيعتهما قبل تركيبهـا ان ينحدرا الى اسفل السافلين بلا ارتفاع. وعلى خلاف ذلك النار والهواء تلزمهما طبيعتهما ان يرتفعا الى اعلى العلاء بلا انحدار على غير تلاقٍ يكون بين هـذين وذينك الآخرين. فلمّا رأينا انّ هذه العناصر الاربعة قـد ارتفعت الى الوسط واشتبكت ووجدنا انّ هذين قد انحدرا من اعلى العلو وذينك قد ارتفعا من اسفل السافلين على غير طبائعهما عرفنا انّ هذا القويّ الذي لا توصف قوّتهُ امتـدّ بقوّته الى فوق فقهر المرتفعين واحدرهما الى اسفـل وقهر ايضاً (9) السفلانيين واصعدهما وشبكهما في الوسط. فان قال قائل انّها لم تزل في الوسط فاننـا نؤاتيه ونقول فان كان الامر على ما وصفت فهي مضبوطة من هذا القويّ على غير طبائعها

في الوسط ذانك لا يرتفعان وهذان لا ينحدران فعلى اي جهة اخذت امرها فالقوّة واحدة اعني التي حبستها في الوسط والتي احدرت تلك من فوق واصعدت هذه من اسفل . اذاً قوّة هذا القوي في هذا الوجه اعظم من الاوّل ايضاً

وتُعرف على مثل ذلك قوّة هذا القوي وعظمها وعدتها من وجه آخر نقول انهُ لا يخفى انّ النار والهواء والماء والارض متضادّة في الطبيعة تأكل بعضها بعضاً وها نحن نراها مجتمعة في هذه الطبائع المركّبة على غير طبيعتها مصطلحة وعداوتها فارّة من ان نراها هكذا فعلمنا انّ هذا الشيء القوي هو الضابط لها بقوّته والقاهر لها في كل شيء هي فيه من الجبال والاشجار والانبات والطير والبهائم والدبّابات ودوابّ البحر والناس ونحن نرى اذ نسرّحها ادنى طرفة عين انّها تضادّ بعضها بعضاً فيرتفع ذانك الى اعلى العلوّ والآخران ينزلان الى اسفل السافلين فتهلك الدنيا على ما ذكرنا في طرفة عين . فمن هذا الذي وصفنا من ثبات وصلح هذه الاربعة اجزاء في الاشياء وهبوط المرتفعين وارتفاع المنهبطين واشتباكها في الوسط (10) وقرارها وذلك كلهُ على غير الطبيعة عرفنا انّ هذا القوي الذي لا تُحصى قوّتهُ ولا توصف قدرتهُ انّهُ هو الضابط للكلّ

وايضاً ممّا رأينا من هذا القوي انهُ جمع وركّب من هذه الاربعة اجزاء فوق الارض ما لا يُحصى ولا يُعدّ من كثرة انواع الاشجار والانبات والجبال والمعادن والطير والبهائم والدبّابات التي تدبّ على الارض وفي البحار عرفنا انهُ حكيم لا تحصى حكمتهُ مثل قوّته

وايضاً ممّا رأينا ورأيت من هذه الانواع التي ذكرنا ومن انّ الماء والارض والهواء والشمس والقمر والكواكب ومياه البحار والانهار والعيون وكل ما يرى هو خادم حياة هذا الانسان عرفنا انّ هذا القوي الحكيم ايضاً فيّاض خيّر لا يُحصى خيرهُ على قدر حكمته وقوّته

وايضاً لاننا راينا نسمة اعشار الناس اشراراً لا يبيدهم ولا يؤاخذهم بل قد اوسعهم من خيره مثلما اوسع الصالحين عرفنا انهُ فاضل بلا انتهاء

ومن انّنا رايناهُ قد امهل الاشرار لا يهلكهم بل يحتملهم عرفنا انهُ رحيم طويل الروح وان ذلك لمّا يُرجى من عطفهم وتوبتهم . ولانّا راينا فيهم كفّاراً يفترون

عليه ولا يؤاخذهم عرفنا انهُ حمول وصبور حليم لانهُ يترجاهم . ولاننا رأينا مَن كثُر شرُّهُ قد تغيَّر عليه واباد ذكرهُ من الارض عرفنا انهُ عادل ومعاقب كلًّا بسوء عملهِ

ولاننا راينا اشرارًا كثيرين انقلبوا من الدنيا في نعمة كثيرة لم يصبهم فيها سوء ولا مجازاة (11) شيء من عقوبة ما استوجبوا وراينا ايضاً صالحين انقلبوا من الدنيا باحزان ولم يروا فيها خيرًا ولا مكافأة باحسانهم ونحن نعلم انهُ عادل غير ظالم علمنا انهُ سيحشر الخلق ويبعثهم من الموت ويثيب الصالحين على قدر صلاحهم ويعاقب الطالحين على قدر ما استوجبوا

كذلك استدللنا على هذا الصانع وعلى صفاتهِ هذه التي ذكرنا من آثارهِ وافعالهِ

ونقول ايضاً انَّ هذا الصانع ليس من شيء قد كان عندهُ لم يزل معهُ فوُجد صُنع هذه الاشياء بمنزلة النجار الذي لا يقدر يظهر صنعتهُ ان لم يجد خشباً او الحدَّاد حديدًا ولكن من لا شيء انشأها وابتدعها . فمن اجل ذلك ليس هو صانعاً فقط ولكن خالق . وبيان ذلك من قياس الشيء الازلي والمحدث وخلافهما لانَّ الشيء الذي لم يزل لا يقبل تغييرًا ولا يفسد ولا يتلاشى ومن اجل ذلك هو دائم ابدًا . والشيء المحدث على خلاف هذا لانَّ اوَّل امرهِ واوسطهُ وآخرهُ على التغيير والفساد يجري اعني انه لم تكن فكان وهذا اوَّل تغيير وحيث كان فهو يقبل تغييرًا وفسادًا في انتقالهِ من شيء الى شيء في حالاتهِ كلها واخيرًا يتغيَّر ويتلاشى ويصير لا شيئاً ويعود الى الحالة الاولى التي لم تكن . ومن ذلك عرفنا ان الذي لا يقبل تغييرًا ولا فسادًا في شيء هو ازلي والذي يقبل تغييرًا فهو محدث . ولانَّا رأينا هذه الاشياء كلها التي تُرى تتغيَّر من شيء الى شيء وتفسد (12) عرفنا انها محدثة مبتدعة لم تكن فكانت . وايضاً مما نراها بمعاينة انها تُبيد بعضها بعضاً وتتلاشى وخاصَّة نعرف ذلك من اجتماع النار والماء لانَّ الماء القليل اذا أُلقي في النار الكثيرة يحترق ويبيد ويتلاشى فعلمنا من انَّهُ يتلاشى انَّ ملاشياً اتى بهِ وكذلك الماء والنار والهواء والتراب وكل ما يقبل تغييرًا . كذلك اذن ذلك الصانع القوي الحكيم هو ايضاً خالق ومن لا شيء ابدع الاشياء وانشأها

فلما فرغ العقل من امر الخليقة وعرفها انها مبتدعة وعرف صانعها وخالقها منها كلهُ رفع نفسهُ الى خالقهِ فقال : قد عرفتهُ انهُ خالق فلعلهُ مع انهُ خالق هو ايضاً

مخلوق فاراد ان يعلم أمخلوق هو ام غير مخلوق فقال: ان كان مخلوقاً فمن آخر خُلق. والآخر يقع عليهِ الشكّ انهُ من اخر والآخر من آخر وهكذا واحد من واحد حتى يبلغ الالف الف واكثر من ذلك. ولا بدَّ من ان نقف على واحد خالق غير مخلوق. فلما وُجد خالقٌ غير مخلوق احبَّ ان يعلم اهو هذا الذي خلقنا او غير الخالق لنا فقال: ان كان بعد الخالق الاعلى (13) مخلوقون يخلقون ليس لهؤلاء ايضاً ان ينتهوا الى مخلوقين لا يُخلقون بمنزلة الناس. فراى انهُ قد ادرك بمعرفتنا الخالق الغير مخلوق الاعلى ومعرفة المخلوق الغير خالق الاسفل يتعين لا شكّ فيها

فاراد ان يعلم ان كان المخلوقون الخالقون الذين ادخلهم الشكّ في الوسط وجودين او غير وجودين فعرف انهم غير موجودين لانهُ لا شيء مخلوق وخالق معاً. وذلك انهم لو كانوا موجودين قد كان كل واحد منهم خلَق مثلهُ اعني كل واحد منهم قد كان مخلوقاً وخالقاً. ولانهُ لاشيءٌ من الاشياء بتَّةَ يخلق مثلهُ فليس اولئك موجودين. وبيان ذلك انهُ لا شيء يخلق مثلهُ فالانسان المخلوق لا يستطيع يخلق مثلهُ والله الذي يستطيع كل شيء لا يستقيم ان يخلق مثلهُ فان كان الانسان والله اللذان تعرفهما (ومنهما الله الذي يستطيع كلًا) لا يخلقان مثلهما فلا شيء يستطيع يخلق مثلهُ. والّا فقد صار اعظم قدرةً من الله. فاذ لم يكن شيء يقدر يخلق مثلهُ فالمخلوقون الخالقون لمثلهم الذين كان الشكّ ادخلهم في الوسط ليسوا بوجودين. اذ ليس الّا خالق غير مخلوق ومخلوق غير خالق. وكلاهما ليس في وسطهما شيء. اخر

والخالق منهما فهو هذا الذي خلق الدنيا ونحن خلقهُ وقد عرفنا انهُ الاهٌ لم يزل غير مخلوق وخالق كل شيءٍ من لا شيءٍ لا خالق غيرهُ. قويٌ ليس لقوَّتهِ انتهاء. حكيم فيّاض جواد فاضل رحيم طويل الروح صبور محمول عليم عادل باعث الموتى محيي مُجزيٌ الصالحين بصلاحهم والطالحين بطلاحهم

فان قال قائل انك قلت انهُ لا يأتي شيءٌ من الاشياء بمثلهِ. وها نرى الانسان يأتي بمثلهِ. فانّنا نجيبهُ اننا لم نقل انهُ لا يأتي الشيءُ بمثلهِ (14) ولكنّا قلنا انهُ لا شيءٌ من الاشياء يخلق مثلهُ فاما الانسان فقد علمنا انهُ يأتي بمثلهِ في الميلاد ان احبَّ. واما ان يخلق فقد علمنا انهُ لا يستقيم لهُ. وان كنّا تركنا الفحص عن ذلك ها هنا. لان هذا الموضع ليس بموضعهِ. لان ارادتنا ليس الّا التثبيت ان الله موجود من غير خلائقهِ

فقط . وانّ على هذا الاله وعلى صفاته هذه دلّت طبائع عقولنا من آثاره وافعاله

فلمّا عرفتُ ذلك منها احببتُ ان نعلم ايضاً وجهاً آخر أهذا الخالق هو واحد او اكثر من واحد او هل في هذه الطبائع دلالة الى شيء من ذلك . فالتمستُ ان نجده لانها لا تدلّ على شيء من ذلك . وبمنزلة أنّنا كنّا جماعةً نسير في طريق انتهينا الى كرم ورأينا رجلاً يجمع حجارة ويسيّج الكرم وقد اسرع في بنيانه . وتقدّمنا قليلاً ورأينا كرماً آخر وابصرنا رجلين متفقين يسيّجانه ايضاً احدهما يجمع حجارة وينادل صاحبهُ والآخر يبني وقد اسرعا فيه . وتقدّمنا ايضاً قليلاً فلقينا كرماً آخر فيه عشرة رجال قد اتفقوا في بناء سياجه فمنهم من ينقل حجارة ومنهم من يناول ومنهم من يبني وقد اسرعوا فيه . وتقدمنا قليلاً آخر . فاصبنا كرماً قد سُيّج وفُرغ منهُ . وليس عنده احد فسأل بعضنا الجماعة : كم ترون رجلاً بنوا هذا السياج . فاجابهُ رجل شيخ منّا وهو رجل حكيم (15) وقال لهُ : امّا ان تكون تعلم ان لهذا السياج صُنّاعاً بلا شكّ وانهُ يحيط هذا الكرمَ بناء فنحن نعلم ذلك لان بناءهُ يدلّ على ذلك وامّا كم من رجل بناه فليس فيه اثر ولا دلالة على ذلك لانهُ يستتم ان يبنيه واحد او اثنان او عشرة اذا اتفقوا على ما قد رأيناهُ في الكرم الذي مررنا بهِ . كذلك اذاً تعرف عقولنا من هذا الخلق ان لهُ خالقاً مع صفاته تلك التي وصفنا لان اثر ذلك فيه على ما قد اثبتنا . فأمّا ان يكون الخالق واحداً او اثنين او اكثر من ذلك فليس في الخلائق من وجه الآثار والافعال الدلالة على ذلك على ما جرى عليه مثال سياج الكرم . اذاً ليس تدلّ الخلائق على الخالق انهُ وجه واحد فَرْد من هذا الوجه

٣ في الدين القويم

ثم انّ طبيعتنا تعلمنا آية رسل الله وكتبه الحقّ التي جاءت من عند الله وأيهم دينهُ الحقّ الذي يجب ان يُعبد عليه مع صفاته الكاملة وأيهم امرهُ ونهيهُ وثوابهُ وعقابهُ

الحق اقول اني نشأتُ في جبل لم اعلم ما من الناس فيه . فنزلتُ يوماً لحاجة عرضت لي الى المدائن وجماعة الناس فرايتهم في اديان مختلفة فدعتني منهم فرقة هي على دين الحنفاء الاولين الى الدخول معهم فزعموا انهم يعبدون السبعة الكواكب الشمس والقمر وزحل والمريخ والمشتري وعطارد والزهرة والاثني عشر برجاً لانهم

هم الذين يخلقون ويدبرون هذا الخلق ويعطوه (ويعطونهُ) البخت الصالح والنعيم في الدنيا (16) والبخت السوء والشقاء. وان نبيّهم في ذلك هرمس الحكيم

ففارقت هؤلاء. فلقيني قوم من المجوس فقالوا: دع هؤلاء. ليس هم على شيء ولكن علمهُ الينا لان ما في ايدينا هو الصواب. وذكروا ان الههم الكبير يقال لهُ ذروان وان ذروان هو البخت وانهُ قبل ما يخلق الدنيا ضحّى الف سنة ليولد لهُ ولد وان امرأتهُ حبلت بابن يقال لهُ هرمزد وانهُ لمّا حُبل بهِ سبعمائة سنة كان ذروان ابوه شكّ انهُ لم يُحبَل بهِ وانّ شكهُ ذلك صيّر في بطن امرأتهِ ولدًا اخر هو الشيطان. وان ذروان علم بهِ فقال: ايُّ اولادي يبصر اوّلا وجبي اياه اعطي الملك. وان هرمزد علم بذلك وهو في بطن امّهِ واخبر بهِ الشيطان وان الشيطان لمّا علم ذلك ثقب بطن امّهِ وخرج من جنبها فجاء حتى وقف بين يدي ابيهِ وهو ظلمة اسود الوجه سمج فقال لهُ ابوه: من انت. فقال لهُ: انا ابنك الشيطان الذي صار لك من الشكّ فأعطني الملك على ما قلت. فحزن ذروان ولانهُ لم يجب ان يرجع عن كلمتهِ اعطاه الملك على هذه الدنيا سبعة الاف سنة. وان هرمزد ولدتهُ امّهُ الى تمام الف سنة فخرج ضوءًا حسنًا جميلًا وانهُ خلق السماء والارض وما بينهما من انواع الطبائع على ما ترى الدنيا عليهِ من الحسن والبهاء. الّا انّها كانت مظلمة ليس فيها نور فحزن واستشار الشيطان في (17) ذلك فاشار عليهِ ان ينكح امّهُ ففعل ونكحها فحبلت وولدت الشمس ضوء النهار وايضًا ان ينكح اختهُ ففعل ونكحها فحبلت وولدت القمر لضوء الليل وان المجوس لذلك ينكحون امّهاتهم واخواتهم وبناتهم ليلدن بنين مثل الشمس والقمر مثل هرمزد الاههم هذه صفتة آلهتهم وان مثل هرمزد قد اذن لهم ان يتناولوا جميع ما طاب لهم من شهوات الدنيا لانهُ من اجلها خلقهم. وزعموا ان نبيّهم الذي اتاهم بهذا الحق زَرْدَشت

وفارقتُ هؤلاء. فلقيني قوم من السامرة وقالوا لي: لا تلتفت الى هؤلاء. ولكن تعال الينا فانهُ لا احد على الحق غيرنا نحن اولاد ابراهيم واسحاق ويعقوب احبّاء الله الاه السماء والارض وقد كان اوعد (وعد) اباءنا ان يخلّص زرعهم من ارض مصر ويورثهم ارض فلسطين ففعل وذلك على يدي موسى النبي فانهُ بعثهُ الى فرعون فضربهُ واهل مصر بتلك الاعاجيب والآيات فاخرج اباءنا من يديهِ قسرًا وشقّ لهم البحر وغرق

فرعون واجناده واخرج اباءنا الى البرية واطعمهم المنّ والسلوى وفجر لهم المياه من الصخرة واعطاهم ناموس الله يحلّ عليهم الحلال ويحرم الحرام عليهم واهلك فلسطين ودفع اليهم اراضيهم ونحن اولادهم حتى اليوم فما دمنا لهُ نحفظ الناموس فهو يحسن الينا واذا خالفناه عاقبنا واشقانا في الدنيا فللمحسنين منّا حياة (18) صالحة في الدنيا وللمسيء الشقاء. فاذا ما فارقنا الدنيا فهو الهلاك الى الابد فلا قيامة

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من اليهود فقالوا: لا تلتفت الى هؤلاء ولا تدخل معهم لانهم على ضلال فامّا ما خبّروك بهِ من ان الله الاه ابراهيم واسحق ويعقوب وانهُ وعدهم في زرعهم ما وعدهم وبَعثهُ موسى واخراجهم من مصر وادخالهم ارض كنعان فالذي خبروك من ذلك فهو الحقّ قد كان ومضى واما قولهم انهم زرع ابراهيم واسرائيل فهم في ذلك كذبة بل هم قوم من المجوس واما زرع ابراهيم واسرائيل فنحن. وحقًا انَّ الله ورّث اباءنا ارض اسرائيل ومكثوا فيها الفاً وخمسمائة سنة ملوكاً في نعمة لا يشبهها نعمة وانهم اخطوا (اخطأوا) فغضب الله عليهم ودفعهم الى ايدي الامم واجالوهم (وجلّوهم) عنها ولكن قد وعد اباءنا ان يبعث الينا المسيح فيجمعنا من اطراف الارض الى ارض اسرائيل ويشرّفنا على ما كنّا عليهِ في الامر الاول وان يسلطنا على الامم ويقيم موتانا ويجسمهم ايضاً الينا ويامر الارض فتخرج لنا الخبز المخبوز والاثمار الطيبة بغير عناء ولا شقاء. وعمل مع كل نعمة وشهرة نشتهيها الى الابد والله لا يكذب وهذا الامر كائن ونحن منتظروهُ فلا تدخلنَّ مع احد الّا معنا لانهُ لا دين غير ديننا

ففارقتهم ولقيني قوم من النصارى فقالوا : لا يظلنك (يضلّنك) قول اليهود لان الله قد بعث (19) المسيح الذي يذكرون فلم يقبلوه وقد غضب الله عليهم وبدّدهم في جميع آفاق الارض وهم هالكون الى الابد ورجاؤهم باطل. ولكن عليك بدين المسيح وتعليمهِ وذلك ان الله آب وابن وروح قدس الاه واحد ثلاثة وجوه وجوهر واحد وفي هذا الجوهر الاه واحد وهذا الدين الحقّ الذي اعطانا للمسيح ابن الله في الانجيل وقد حلّل لنا الحلال وحرم الحرام ووعد انهُ يبعث الموتى ويكافئ المحسنين بملك السماء ويجزي المسيئين جهنم فلا دين حقّ الّا ديننا فلا يغرّنكَ احد

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من المنانيين وهم الذين يقال لهم الزنادقة فقالوا: اياك

ان تتبع النصارى او تسمع قول انجيلهم لان انجيل الحقّ في ايدينا قد كتبهُ الاثناعشر السليحيون ولا دين الّا ما في يدنا ولا احد نصراني غيرنا ولا احد يعرف تفسير الانجيل غير ماني صاحبنا. فقد علمنا انهُ قبل ان تُخلق الدنيا كان الاهان مختلفان في جوهرين احدهما نور خيّر وهو الاه الخير والآخر شرير ظلمة وهو الشيطان. وقد كان في البدء كل واحد منهما في بلادهِ فنظر الظلمة الى النور والى بهائهِ وحسنهِ فاشتهاهُ فوثب عليهِ فقاتلهُ يريد يسبيه واذا النور جاهده في القتال فاشرف الظلمة على غلبة النور. فلما خشي النور على نفسهِ قطع منهُ قطعة فالقاها اليهِ واذا الظلمة ابتلعها (20). وان السماء والارض وما بينهما من الخلق من طبيعة الظلمة ومن القطعة التي القاها اليهِ النور من طبيعتهِ تكوّنت على وجه الاشتراك بمنزلة ان الانسان مخلوق من نفس باطنة وجسد ظاهر وزعموا ان النفس من طبيعة النور والجسد من طبيعة الشيطان المظلمة وكذلك حال الاشياء. كل ما فيها طيباً منعماً فهو من طبيعة النور وما ليس بطيب او ضارّ فهو من طبيعة الظلمة بمنزلة أنّ الماء يغرق من انغمس فيهِ ويحيي من شربهُ وينعمهُ فالجزء الذي يحيي منهُ فهو من النور وما يحرق ويهلك فمن الظلمة. فامّا الحيات والعقارب والاسود والنمورة والدبّابات وما يشبه ذلك فتلك جميعها من الظلمة. هذا اصل الدين وصفة المتهم. فامّا في الحلال والحرام فانهم يقرّرون شهوات الدنيا لمن يشاء فينعم فيها على ما يشاء. ولا يأمرون بتزويج بل من اشتهى امرأة فهي لهُ وكذلك المرأة للرجل. ويفسرون الانجيل على مثل هذا التفسير ويزعمون ان قول المسيح: « من سألك فاعطهِ ومن سألك من المساكين صدقة فتصدق عليهِ » ليس هكذا لان الذي قد اشقاه الله من المساكين في الدنيا لا يحلّ لاحد ان يصلهُ بشيء ولا يتصدّق عليهِ والّا فقد خالف الله الذي يريد ان يشقيهُ وهو يريد ان ينعمهُ لان الله لو شاء ان ينعمهُ لكان قد اعطاهُ مالاً مثلهُ ولم يحوجهُ اليهِ ولكن تفسير (21) كلمة المسيح « من سألك فاعطهِ » فهو الرجال والنساء يقول للمرأة: كل من سألكِ نفسكِ من الرجال فلا تمنعيه وكذلك للرجل من سألك من النساء نفسكَ فاعطها اياها. هذا ومثلهُ تعليمهم في الحلال والحرام وفي امر اللاهوت

وفارقت هؤلاء فلقيني قوم من المركيونيين فقالوا: لا تلحق هؤلاء لانهم في اثم كبير بل تعال الينا لان انجيل الحقّ في يدنا وصاحبنا مركيون هو كان اعظم الناس به

وبتفسيره وقد وصف لنا وعلّمنا امر اللاهوت وذكر ان الالهة ثلاثة: واحد منهم غيور عادل في الحق لا يحتمل الخطأ ولا لمن عملهُ عنده رخصة او رحمة دون المقوبة بما استوجب وهو الاله العتيق الذي بعث موسى وصنع بمصر ما صنع. والثاني إله طيب رحوم خيّر يفيض بخيره ولا يعاقب احداً وهو المسيح. والثالث ظالم شرير غاية كل خبث وهو الشيطان

وفارقت هؤلاء. ولقيت بردیصان فقال لي: لا تسمع قول قوم ليس هم على شيء تعال اليَّ الآن لاني انا ما في يدي هو الحق. أخبرك ان الالهة خمسة ازليّة. اربعة منها غير عقلية والخامس عاقل وان هذا العاقل قوي بعقله على الاربعة فقهرها وخلق منها الخلائق. يعني بالاربعة الغير عقليّة النار والهواء والماء والتراب. والعاقل هو الذي انشأ منها طبائع الدنيا بحكمته

وفارقت هؤلاء. ولقيني اخيراً (22) قوم من المسلمين فقالوا: لا تسمع قول احد ممّن لقيتهُ لانهم اجمعين كفّار مشركون بالله ولا دين الّا دين الاسلام بعثهُ الله الى الناس كافّة على يدي محمّد نبيه وهو يدعوك ان تعبد الله وحدهُ ولا تشرك به شيئاً ويأمرك بالحلال وعمل الخير وينهاك عن الحرام وعمل السوء. وقد وعد ان يبعث الموتى وثوابُ المحسنين جنّة يجري من تحتها انهار من ماء ولبن وعسل وخمر لذّة للشاربين ونساء حور عين لم يطأهنَّ الجنّ والانس للنعمة مما يشتهي الانسان من الطيبات كلها في قصور من زمرّد وياقوت وذهب وفضة وغير ذلك من مثله الى الابد ووعد للمسيئين جهنم لا تُطفأ نارها

فلما تيوفي (لقيني) هؤلاء كلهم بحيث تفكّرتُ بقول كل واحد منهم ورأيت جملتهم متفقين في ثلاثة اشياء ومختلفين ايضاً فيها. فاماً اتفاقهم فكلّ واحد يدّعي انَّ لهُ الاهاً وانَّ لهُ حلالاً وحراماً وايضاً ثواباً وعقاباً الّا ما كان من او احد واثنين. واماً خلافهم فانهُ يختلفون في صفات الهتهم وفي حلالهم وحرامهم وفي ثوابهم وعقابهم فاعدتُ النظر ايضاً وقلتُ انهُ يشبه الله في طيبهِ وفضلهِ حيث رأى خلقهُ قد زاغ عن عبادة الحق ان يبعث اليهم رسلاً وكتاباً يبصّرهم ذلك ويردّهم اليهِ عن خطاياهم وقد جاء من جاء من كثرة الرسل والكتب واختلافها وامرهم على احد وجهين: اماً ألّا يوكن فيهم ولا (23) واحد جاء من عند الله واماً ان كان فيهم احد فهو واحد.

ويشبه ان يكون فيهم واحد مما يعرف من فضل الله وعنايته بامر خلقه. ولكن كيف الحيلة الى معرفة هذا الواحد ؟

فرايتُ ان امري يشبه امر ابن ملكٍ قد كان لهُ اب ملك وكان ابوه محزوناً محتجباً لم يبصرهُ احد قط الّا اهل المودّة والخاصّة به فأتتهُ حاجة في بعض البلدان فبعث ابنهُ فيها وهو حدَثٌ وبعث معهُ طبيباً كان لهُ ليحافظهُ من العاهات العارضة وصيّر لهُ ايضاً وزيراً لم يكن ابنهُ عاينهُ قط ولا الطبيب . فسار حتى انتهى الى تلك البلاد فضيّع الطبيب وتهاون الغلام بنفسه فمرض وسقم وعرف ابوه ذلك فلم تدَعْهُ مودتهُ ترك ابنهِ ولا تضييعهُ فكتب الى ابنهِ كتاباً فيه ثلاثة اوجه واحد منها يصف فيه صفة نفسه . والثاني يصف للغلام صفة مرضهِ ومن اي العاهات دخل عليهِ المرض وينهاهُ عنها الّا يتناولهـا . والثالث يصف لهُ دواءهُ ويعلمهُ كيف الشفاء وكيف ينبغي لهُ ان يدبر نفسهُ في صحّة نعيم لا يزول فلا يصيبهُ سقم ولا عاهة ابداً . وامرهُ بشربهِ بعد الصحّة . ودعا الملك بعض رسلهِ ودفع اليهِ كتابهُ وامرهُ بالمسير الى ابنهِ ودَفعهُ اليهِ . فقبض الرسول الكتاب وسار بهِ الى الغلام . وكان للملك اعداء وحسّدة كثيرون لم يكونوا (24) يقدرون على ضرّه في شيءٍ لحال عزّه فلما عرفوا ان ابنـهُ قد مرض وان اباه اهتمّ بهِ وانهُ بعث اليهِ في ذلك رسولًا وكتاباً وجدوا فرصةً ان يقرصوا الملك ان قدروا في ابنهِ فعجّل كل واحد فهيّأ (فهيّأ) رسولًا واختلق كتاباً مبهرجاً على لسان الملك يعلمهُ فيهِ صفة الملك اي صفتهُ كذباً وينهاهُ عمّا ينفعهُ ويامرهُ بما يضرّهُ ويبعث اليهِ دواء اذا شربهُ قتلهُ . فقبض رسلهم كتبهم وساروا فوافوا قبل ان يدفع رسول الملك الحق كتابهُ . فتوافوا عند ابن الملك اجمعين ودفعوا كتبهم فقرأها فاذا هي مختلفة كلها في صفات الملك وفيما امرهُ ابوهُ ونهاه عنهُ وفي الادوية ايضاً . فدعاهم واجتمعوا عندهُ فبدر واحد منهم وقال : انا رسول الملك اليك بهذا الذي دفعت اليك . فقال الاخر لابن الملك : كذب ما هـذا رسول الملك ولكني انا رسولهُ بكتابه الذي دفعت اليك . فقال آخر : قد كذب هذا وهذا انا رسول الملك . وصار كل واحد منهم يكذّب صاحبهُ ويكذبهم اجمعين ويثبت نفسهُ . ورسول الحقّ بينهم يكذبهم ويكذبونهُ وقد صار كواحد منهم . فقال لهُ الطبيب : سرّحهم الآن وانا افرز لك امرهم لاني طبيب واعرف هذه الاشياء لانهـا صناعتي واذا

اختلفت فليس فيها من الملك ان كان الّا كتابٌ واحد وقد اتوا اجمعين في كتبهم بثلاثة اوجه : الواحد إعلام الملك اياك صفاته . والثاني اعلامهُ اياك العاهات التي مرضت منها ونهاك عنها وارشادك الى الحال التي تُصحّك . والثالث الدواء الذي يصحّك وينعمك في حياة دائمة بلا مرض ولا سقم ابدًا . وانا على ما ذكرتُ لك طبيب واعرف ايضاً عاهات الامراض التي تسقم والحالات التي تصحّ واعرف صفات ابيك من شبهك لانك ابنهُ وان كنت لم ترهُ . فهلمَّ بنا اوّلًا لننظر في ادوية هؤلاء الرسل وفيما ينهاك عنهُ الملك ويأمرك بهِ في كتبهِ وصفاتهِ نفسه فالذي معهُ الدواء المنعم الى الابد وفي كتابهِ صفات العاهات التي اعرفها تمرّض فنهاك عنها والتي تُصحّ فأمرت بها وصفات ابيك التي اذا تناهى وافقتْ شبهك فهو رسول ابيك الحق قبلناه والذي خالف ذلك رفضناه . فجمعوا الادوية فنظر الطبيب فيها فاذا كلها مختلفة وجماعة تنهى ابن الملك عما ينفعهُ وتأمره بما يمرضهُ ويسقمهُ الّا ذلك الكتاب الواحد الذي كان معهُ الدواء المنعم الذي كان ينهاه عما يمرضهُ ويامرهُ بما يصحهُ . وايضاً فيما كان وصف الملك نفسهُ فيها قياس الصفات كلها الى صفات الغلام فاذا ليس فيها صفة تشبههُ الّا الواحدة التي كانت في الكتاب الذي فيهِ صفة امراضهِ الحقّ والدواء المنعم . فاتخذ هذا الكتاب والدواء وعمل بهِ واقام عليهِ ودعا صاحبهُ واعلمهُ انهُ رسول الملك الحقّ واظهر كذب اولئك ودفعهم ابدَّ الدفع واقصاهم عنهُ

فالملك المحزون الله تبارك وتعالى وابنهُ آدم وذريتهُ الذين خلقهم والطبيب العقل الذي أعطيهِ ليعرف بهِ الله وبهِ يعرف الخير ويعمل بهِ ويعرف الشرّ وينتهي عنهُ . وتضييع الابن للطبيب ووقوعهُ في المرض تضييع آدم نفسهُ للعقل ووقوعهُ في الخطيئة وخروجهُ من الجنة الى الارض وتصييرهُ مائلًا الى حياة الدنيا مثل البهائم . وبعثهُ اليه رسولًا اي بعث الله رسولًا يحق الى خلقهِ بكتابٍ يعلمهم فيهِ صفتهُ الحقيقيّة التي يجب ان يُعبَد عليها ونهيهُ اياهم عن كل سوء وقبيح وامره اياهم بعمل الخير في الدنيا وسعادة الصالحين في الاخرة نعيمهُ الذي لا يزول ووعد الطالحين جهنم التي لا تُطفأ نارها فذلك الدين الواحد الحقّ

واعداء الملك الذين ارادوا ان يغيظوا الملك بابنهِ وهيّأوا رسلًا وكتباً وبعثوا اليهِ يملكوهُ فهم الشياطين قد فعلوا ذلك وقد جاء رسول الله وكتابهُ الحق الى

الدنيا فاجتمعوا على الانسان كل واحد يكذّب اصحابهُ ويدعو الى نفسهِ . وفيهم رسول الحق وهو الى (27) الساعة كواحد منهم غير معروف وهم الذين وصفتُهم فوق اي الذين تعوني واحدًا واحدًا حيث انحدرت من الجبل يدعوني كل واحد منهم الى نفسهِ اعني الحنفاء والمجوس والسمرة واليهود والنصارى والمانيـة والمركيونيّة والديصانيّة واديان اخر اكثر من هذه واختلاف كثير في الدنيا الّا اننا اختصرنا على هذه الثمانية اديان او التسعة التي ذكرنا واخبرنا الى ماذا دعا كل واحد منها من صفات الله والحلال والحرام والثواب والعقاب . والان ينبغي لنا ان نصنع كما صنع الطبيب الحكيم وندع الكتب ناحيةً ونسأل العقـل : كيف عرفتَ صفات الله التي لا تبصرهـا الحواس ولا تدركها العقول من شبه طبيعة الانسان وكيف منها ايضاً الخير والشرّ والقبيح والجميل والثواب الذي ينعمها الى الابـد وخيرها وشقاوتها الدائم . واذا اخبرنا بذلك وعرفناه قـنا هذه الكتب التي علمنا فالكتاب الذي نجد فيهِ ذلك عرفناهُ انهُ من الله واقررنا بهِ وقبلناهُ ورحنا ما سواه

نقول ان عقولنا تستطيع ان تبصر الله الذي لا يُبصر مع صفاته الذي يجب ان يُعبد عليها من شبه فواضل طبيعتنا بالارتفاع عنها على الخلاف . وذلك على مثل هذه الشبهة نقول بانهُ ليس احد من الناس يقدر ينظر الى وجه نفسهِ بعينهِ الّا من شبههِ بمنزلة الرجل الذي ينظر (28) الى المرآة فيبصر وجههُ من شبههِ الذي فيها . ومعروف انهُ اذا فعل فقد ابصر الشيء الذي لا يُبصَر في جميع صفاتهِ بشبههِ فالوجهان يشتبهان فيها بمنزلة لو انهُ جاءنا رجلان غريبـان احدهما يعرف الرجل الذي نظر في المرآة والاخر لا يعرفهُ ونظر الى الوجه الذي في المرآة قد كان الذي يعرفهُ يستبين ويعرف ان هذا وجه فلان والذي لا يعرفهُ اذا رآه عرف انهُ الوجه الذي كان في المرآة . اذن يستدلّ العقل بذلك في ذلك وبذلك على ذلك وبكل واحد منهما على صاحبهِ لا يشتبهان والحالة التي فيها لان وجه الرجل بعينهِ يرتفع عن الشبه الـذي في المرآة بالخلاف لانهُ موجود وذلك على الخلاف لانهُ موجود وهو ايضاً يبصر ويسمع ويشتمّ ولا يفعل شيئاً من افعـال ذلك الوجه اذ يبصر شيئاً لا يبصر من شبههِ وان كان يرتفع من شبههِ بالخلاف

كذلك نقول اذا اطلعنا بعقلنا في طبيعة آدم ورأينـا فواضلها رأينا الله منها

وعرفناه بحقّ لانهُ شبههُ الّا انّ الله يرتفع عنها بالخلاف لوجه الرجل بعينهِ في الشبه. وذلك هكذا نقول لطبيعة آدم فواضل ومناقص بمنزلة ادم في طبيعتهِ اليوم موجود وغدًا ليس بموجود وايضاً حيّ وميت عالم وجاهل حكيم وغير حكيم قوي وضعيف وكذلك جميع صفاتهِ زوجاً زوجاً تلك فواضل وتلك مناقص نقول انهُ في مناقص طبيعتهِ لا يُدرك (29) الله ولا الله شبههُ واما في فواضلها فهو يشبه الله ليس فيهِ فضيلة الّا وانك ترى الله فيها وتراها في الله لانها من الله جرت اليهِ بمنزلة الشبه الذي كان في المرآة اذ لم يكن فيها شجة وهي شبه الرجل لانهُ من وجه الرجل جرى اليها كل ما فيها وهكذا ننظر الله في فواضل طبيعة آدم (التتمة لعدد آخر)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

قبائل العرب المتنصّرة (تابع)

٢٠-٢١ ﴿ الكاسك والسكون ﴾ قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢١) «ومن قبائلهم الكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان وهما ابنا اشرس بن ثور بن كندي (١)». ومما يؤيد تنصرهما انهما كانتا في دومة الجندل التي مرّ ذكر نصرانيتها ونصرانيّة صاحبها أكيدر السكوني. وقد صرّح ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٤٩) بنصرانيّة السكون قال: «وكان لقضاعة ملك اخر في كلب بن وبرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيّة وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون». وكان السكون والكاسك يسكنون ايضاً في حضرموت مخالفين لبني الحرث بن

(١) والصواب ما قالهُ ابن دريد سابقاً (ص ٢١٨) «كندة هو كندي واسمهُ ثور».